

النموذج الثانى

أما النموذج الثانى من نماذج الداعين إلى تاريخية الدين الإسلامى^(١) . . فإنه يركز على القطيعة المعرفية مع الإلهيات وعقائدها . . أى مع جوهر الدين وأصوله وثوابته . .

● فالمهمة الملحة - عنده - هى القطيعة مع الإلهيات ، وإحلال الإنسانية محلها . . أى « أنسنة » الله . . والدين . . ومن ثم الحضارة . . وفى ذلك يقول :

« إن مهمتنا أن نتقل حضارتنا من الطور الإلهى القديم إلى طور إنسانى جديد ، فبدلاً من أن تكون حضارتنا متمركزة على الله . . تكون متمركزة على الإنسان . . وتحويل قطبها من علم الله إلى علم الإنسان . . إن تقدم البشرية مرهون بتطورها من الدين إلى الفلسفة ، ومن الإيمان إلى العقل ، ومن مركزية الله إلى مركزية الإنسان ، حتى تصل الإنسانية إلى طور الكمال ، وينشأ المجتمع العقلى المستنير^(٢) .

(١) وهو نموذج الدكتور حسن حنفى .

(٢) دكتور حسن حنفى [دراسات إسلامية] ص ١٢٨ ، ٣٠٠ . طبعة بيروت سنة ١٩٨٢ م .

● وكذلك القطيعة مع عقيدة الوحي .. وذلك بتأليه العقل وإحلاله محل الوحي ..

« ذلك أن العقل ليس بحاجة إلى عون ، وليس هناك ما يند عن العقل .. وهو قادر على إدراك الحُسْن والقُبْح في الأشياء ، كما أن الحس قادر على الإدراك والمشاهدة والتجريب .. ويمكن معرفة الأخلاق بالفطرة^(١) .. فالوحي لا يعطى الإنسانية شيئاً لا تستطيع أن تكتشفه بنفسها من داخلها .. »^(٢).

● وكذلك إقامة القطيعة مع عقائد عالم الغيب ، عن طريق أنستها :

« فالصفات السبع - [أى صفات الله] - هى فى حقيقة الأمر صفات إنسانية خالصة ، فالإنسان هو العالم ، والقادر ، والحي ، والسميع ، والبصير ، والمريد ، والمتكلم .. وهذه الصفات فى الإنسان ومنه على الحقيقة ، وفى الله وإليه على المجاز^(٣) ! »

(١) دكتور حسن حنفى [من العقيدة إلى الثورة] ١٤٨/١ . طبعة القاهرة سنة ١٩٨٨ م .

(٢) دكتور حسن حنفى - تقديم [تربية الجنس البشرى] - للسنج - ص ١٥١ - طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧ م .

(٣) [من العقيدة إلى الثورة] ٦٠٢/٢ ، ٦٠٤ .

● وذلك وصولاً إلى إقامة قطيعة مع جوهر الدين . . وهو الاعتقاد بوجود الله . . فالمطلوب - عند صاحب هذه الدعوة إلى التاريخية - هو أنسنة الذات الإلهية ، وإحلال الإنسان محل الله . . لأن الإنسان هو الخالق لله ، وليس العكس!! . .

» . . فالله لفظة نعبر بها عن صرخات الألم وصيحات الفرح ، أى أنه تعبير أدبى أكثر منه وصفاً لواقع ، وتعبير إنشائي أكثر منه وصفاً خبرياً . . إنه لا يعبر عن معنى معين ، إنه صرخة وجودية أكثر منه معنى يمكن التعبير عنه بلفظ من اللغة ، أو بتصور من العقل ، هو رد فعل على حالة نفسية ، أو تعبير عن إحساس أكثر منه تعبيراً عن قصد أو إيصالاً لمعنى معين ، فكل ما نعتقه ثم نعظمه تعويضاً عن فقد يكون فى الحس الشعبى هو الله ، وكل ما نصبو إليه ولا نستطيع تحقيقه فهو أيضاً فى الشهود الجماهيرى هو الله^(١) . . والله ، باعتباره هو الوجود الواحد ، أو المجرد الصورى ، أو العلة الغائية ، كل هذه التصورات هى فى حقيقة الأمر مقولات إنسانية تعبر عن أقصى خصائص الإنسان . . والإلهيات ، فى الحقيقة ، وإن بدت نظرية فى الله ذاتاً وصفاتاً

(١) دكتور حسن حنفى [التراث والتجديد] ص ١٢٨ ، ١٣٠ طبعة القاهرة سنة ١٩٨٠ م .

وأفعالاً ، هي وصف للإنسان الكامل ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً^(١) ..
فالإنسان يخلق جزءاً من ذاته ويؤلهه ، أى أنه يخلق المؤلّة
على صورته ومثاله ، فهو يؤول أحلامه ورغباته ، ثم يشخصها
ويعبدها . فالمعبود دليل على العجز ، والمقدس قرينة على
عدم القدرة . القادر لا يعبد ولا يقُدّس ، بل يعمل ويحقق
خططه وأهدافه . . إن اختيار باقية من الصفات المطلقة ،
ووضعها معاً فى صورة معبود تشير إلى أن الإنسان إنما يؤله
نفسه ، بعد أن دفع نفسه إلى حد الإطلاق ، فالذات الإلهية هي
الذات الإنسانية فى أكمل صورها . . وأى دليل يكشف عن
إثبات وجود الله إنما يكشف عن وعى مزيف . . ولذلك ، فإن
التفكير فى الله هو اغتراب ، بمعنى أن الموقف الطبيعي
للإنسان هو التفكير فى المجتمع ، وكل حديث آخر فى
موضوع يتجاوز المجتمع والعالم ، يكون تعمية تدل على
نقص فى الوعي بالواقع . . وتصور الله على أنه موجود كامل
هو فى الحقيقة تعبير عن رغبة ، وتحقيق لمطلب . . وليس
حكماً على وجود فى الخارج . . فذات الله هي ذاتنا مدفوعة
إلى الحد الأقصى . . ذات الله المطلق هي ذاتنا نحو المطلق ،
ورغبتنا فى تخطى الزمان وتجاوز المكان ، ولكنه تخط

(١) [دراسات إسلامية] ص ٤٠٥ ، ٣٥٩ .

وتجاوز على نحو خيالى ، وتعويض نفسى عن التحقيق
الفعلى لهذه المثل فى الحياة الإنسانية»!!^(١) .

هكذا تمت - وتتم - الدعوة إلى أنسنة الذات الإلهية -
وصفاتها .. وأفعالها - ليحل الإنسان محل الله .. والطبيعة محل
ما وراء الطبيعة .. حتى يدعو - صاحب هذا المشروع الفكرى -
إلى إلغاء ألفاظ ومصطلحات «الله» و«الرسول» و«الدين»
و«الجنة» و«النار» و«الثواب» و«العقاب» .. والتخلى عنها ..
«لأنها قطعية .. ولأنها تجاوز الحس والمشاهدة .. ولأنها
تشير إلى مقولات غير إنسانية .. فمصطلح «الإنسان الكامل»
أكثر تعبيراً من لفظ الله»!!^(٢)

وبهذه القطعية المعرفية الكبرى والحادة مع الله .. والدين ..
والنبوة والرسالة - فى هذا المشروع الفكرى الحدائى التنويرى
العلمانى - تحل «الطبيعة» محل «الدين» .. ويتحول الدين إلى
«وعاء فارغ» من مضمونه وحقائقه .. وتحال هذه الحقائق
الدينية إلى «مستودع التاريخ» باعتبارها جزءاً من «أساطير
الأولين» التى اخترعها خيال الإنسان المحبط فى ظلال الفهر
والإحباط ! .

(١) [من العقيدة إلى الثورة] ٤٦/٢ ، ٦٣٩ ، ٨٨/١ ، ٨٩ .

(٢) [التراث والتجديد] ص ١٢٤ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٤ .